التعريب

لم يمرّ بالكاتب العربي عصرٌ كانت الكتابة فيهِ اصعب مزاولةً ولا اوعر سبيلًا واكثر عقباتٍ من العصر الحالي ولا اتى على اللغة عهدٌ هي فيهِ اضيق مجالاً واشدّ عقماً بمطالب اهلها من هذا العهد . وذلك ان لغة كل قومٍ انما هي عبارةٌ عما يدور بينهم من المعاني والاغراض وما يقع تحت حسّهم من الاشباح وينطبع في مخيّلاتهم من الصور لا تعدو ما هم فيهِ من ذلك او ما شاكلهُ . ولا يُنكَر ان اللغة لا تثبت على حالٍ واحد فهي ابداً عُرضةٌ للتغيير تارةً والزيادة او النقص اخرى تبعاً لاحوال اهلها وتنقُّلهم في الاطوار الا ان ذلك انما يتمّ مع الايام ويقع الشيء منهُ بعد الشيء جرياً على الحال الطبيعي في كل موجود ومن قابل حال اللغة اليوم بما كانت عليهِ لعصر الجاهلية ثم ما كانت عليهِ بعد ذلك لعهد الدُوَل العربية قضى العجب مما تقلب عليها من التفاوت والاختلاف . بيد أن هذه الاطوار الثلاثة كانت متداخلةً بعضها في بعض لا حدّ بينها ولا يتعين لاحدها مفصلٌ يبتدئ منهُ او ينتهي اليهِ ولم يكد اهل اللغة يشعرون بما يقع من ذلك لتراخي حدوثهِ وجريهِ في خفآء وتؤدة فمَثل اللغة في ذلك مثل الانسان يشبّ ويهرم ولا يشعر من نفسهِ بتبدُّل في بنيتهِ ولا قواهُ . ولكنك اذا نظرت الى حال الامة العربية في هذا العهد وما انتشر بينها من التمدن الغربي وجدت انها قد افضت الى حالٍ انتقلت فيها عن أُفقها الاول دفعةً واحدة وهجمت على تمدنٍ فجآئي قد نبت في غير ارضها ونمى في غير جوّها ولم

يبلغ اليها الا وهو على تمام أشُدّهِ وكمال كيانه فكان انتقالها اليهِ والحالة هذه اشبه بالطفرة ووجدت بين ايديها من انواع الملبس والمفرش والماعون وادوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الاحاديث والتصورات وغير ذلك ما هو مباينٌ لما عندها واصبح الكاتب منها مضطرًّا الى وضع مئاتٍ بل آلافٍ من الاسماء التي لا يجد لها رديفاً في لسانهِ ولا في وسعهِ نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لغتهِ لشدة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الاقوام لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها الا منها ولا يمكن ان تُدَسّ اللفظة الاجنبية بينها الا بعد ان تجانسها وتؤاخيها

ولا يخفى ما في مزاولة هذا العمل الطويل من الصعوبة وبُعد المنال اذ لا يُتصوَّر من كل كاتب ان يكون محيطاً بالفاظ اللغة عالماً باوضاعها واشتقاقاتها ولا في سعة كل منشئٍ ان يتفرغ لتقليب صحف اللغة وتتبع موادّها حتى يتولى وضع الفاظٍ لهذه الاشياء بنفسهِ وما كان احوجنا الى مجمعٍ لغوي يوكل اليهِ البحث في هذه الاوضاع ويناط بهِ احياء اللغة والحاقها بسائر لغات اهل العصر بل احياء الامة نفسها اذ لا حياة لامةٍ الا بلسانها كما اوضحناهُ في غير هذا الموضع . وهذا ما طالما حثثنا عليهِ همم العلماء من اهل هذا القطر لعلمنا انهُ محط رحال العربية ومنبثق انوار علومها لو صادفنا منهم اذناً واعية ولكن القوم في شغلٍ شاغل من الامر السياسيّ الذي عرفتهُ بل الحلم المضحك المبكي الذي تشاغلوا بهِ في هذه الايام وكان مثلهم فيهِ مثَل من اهتمّ بتسوير ارضهِ وجدران بيتهِ متداعية .....

ومهما يكن هناك فان الامر قد اصبح اجلّ من ان يُتغاضى عنهُ لان هذه الالفاظ تزداد يوماً عن يوم بما يتوالى من المخترعات والمكتشفات على ما نراهُ كل يومٍ في جرائد القوم ومجلاتهم فاذا لم نبادر الى سنّ طريقةٍ يمكن بها وضع الفاظٍ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالبٍ عربي لا تتشوه بهِ هيئة اللغة لم نلبث ان نرى الاقلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الامور بتةً او اصبح اكثر اللغة اعجمياً الا اذا طبنا نفساً عن علوم العصر ومصنوعاتهِ ورجعنا بحضارتنا الى الحدّ الذي كنا عليهِ منذ خمسين سنةً او فوقها وهي المنزلة التي يحاول بعض القوم ان يردّونا اليها ونعم المصير

ولقد تواترت علينا في هذه الايام مكاتبات بعض الاخوان من مشتركينا الادبآء يسألوننا الخوض في هذا البحث لما رأوا من الضرورة الماسّة اليهِ وهو البحث الذي كنا شرعنا فيهِ في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر ثم انقطعنا عنهُ للسبب الذي ذكرناهُ في محلّهِ . وهو يتضمن عدة مباحث منها الاشتقاق وقد استوفينا ما حضرنا من الكلام عليهِ هناك ومنها المجاز والنحت وسنعود اليهما ان شآء الله ومنها ما نحن فيهِ من امر التعريب نقدّمهُ في هذا الموضع اجابةً للطلب والله المستعان ·

واعلم ان التعريب شيئان احدهما تعريب الكلمات المفردة وهو ما تقدم ذكرهُ ومرجعهُ الى اللغة وفيه كلامنا الآن والآخر تعريب الجُمَل باعتبار تركيبها ومؤدّاها وهو يرجع الى الصيغ البيانية وسنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

وتعريب الكلمة المفردة قد يكون بما يرادفها من الكلم العربية ويسمى

بالتعريب توسعاً وقد يكون بادخال الكلمة الاعجمية نفسها في الاستعمال ونظمها بين الالفاظ العربية حتى تكون كانها منها وهو المفهوم من اصطلاحهم كما سنذكرهُ . قال في الصحاح وتعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه بهِ العرب على منهاجها تقول عرّبتهُ العرب وأعربتهُ ايضاً . وقال في المصباح والاسم المعرَّب الذي تلقتهُ العرب من العجم نكرةً نحو ابريسم ثم ما امكن حملهُ على نظيرهِ من الابنية العربية حملوهُ عليهِ وربما لم يحملوهُ على نظيرهِ بل تكلموا بهِ كما تلقوهُ . . وان تلقوهُ علماً فليس بمعرَّب وقيل فيهِ اعجميٌّ مثل ابرهيم واسحق . اه وفي هذا الاخير كلامٌ سيأتي . وقال في المزهر قال ابو حيّان في الارتشاف الاسمآء الاعجمية على ثلاثة اقسام قسمٌ غيرتهُ العرب والحقتهُ بكلامها فحكم ابنيتهِ في اعتبار الاصليّ والزائد والوزن حكم ابنية الاسمآء العربيـة الوضع نحو دِرهَم وبَهرَج وقسمٌ غيرتهُ ولم تلحقهُ بابنية كلامها فلا يُعتبَر فيهِ ما يُعتَبر في القسم الذي قبلهُ نحو آجُرّ وسِيسَنْبَر وقسمٌ تركوهُ غير مغير فما لم يلحقوهُ بابنية كلامهم لم يُعَدّ منها وما الحقوهُ بها عُدّ منها مثال الاول خُراسان لا يثبت بهِ فُعالان ومثال الثاني خُرَّم أُلحق بسُلَّم وكُرْكُم أُلحق بقُمْقُم . اه

وفيهِ قال ائمّة العربية تُعرَف عجمة الاسم بوجوه احدها النقل بان ينقل ذلك احد ائمة العربية . الثاني خروجهُ عن اوزان الاسمآء العربية نحو إِبْرَيْسَم . الثالث ان يكون اولهُ نون ثم رآء نحو نرجس . الرابع ان يكون آخرهُ زاي بعد دال نحو مهندز . الخامس ان يجتمع فيهِ الصاد والجيم نحو الصوجان والجصّ . السادس ان يجتمع فيهِ الجيم والقاف نحو المنجنيق .

السابع ان يكون خماسياً او رباعياً عارياً من حروف الذلاقة وهي البآء والرآء والفآء واللام والميم والنون . انتهى باختصار وفي بعض ما ذكر خلاف . وزاد صاحب شفآء الغليل بعد الرابع ان تجتمع فيه السين والذال نحو ساذَج معرَّب ساده بالمهملة وسذاب معرَّب سداب

وفي المزهر ايضاً وقال بعضهم الحروف التي يكون فيها البدل في المعرَّب عشرة خمسة يطَّرد ابدالها وهي الكاف والجيم والقاف والبآء والفآء وخمسة لا يطَّرد ابدالها وهي السين والشين والعين واللام والزاي (كذا وفي شفآء الغليل والرآء ولعل الصواب والذال) . فالبدل المطّرد هو في كل حرفٍ ليس من حروفهم كقولهم كُرَبج الكاف فيهِ بدلٌ من حرف بين الكاف والجيم فابدلوا فيه الكاف او القاف نحو قُربَق او الجيم نحو جورب . وكذلك فِرِند هو بين البآء والفآء فمرّةً تُبدَل منهُ البآء ومرّةً تُبدَل منهُ الفآء . واما ما لا يطّرد فيهِ الابدال فكل حرفٍ وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل ابدلوا السين من الشين والعين من الهمزة[1] ... وقال ابو عُبيد في الغريب المصنَّف العرب يعرّبون الشين سيناً يقولون نيسابور وهي

(١) من الغريب انهم اجمعوا على ان اسماعيل اصلهُ اشمائيل وانهم ابدلوا من الهمزة عيناً ذكرهُ سيبويه والجواليقي ونقلهُ السيوطي في المزهر وغيرهُ . وذكر صاحب القاموس ان معناهُ مطيع الله وزاد صاحب تاج العروس انهُ بالسريانية قال ولذا اي لكون معناهُ مطيع الله يكنى من كان اسمهُ اسماعيل بابي مطيع . وفي شفآء الغليل قال السبكي و يستحب لمن رُزق ولداً في الكبر ان يسميهُ اسماعيل اقتدآءً بالآية ولأن معناهُ عطية الله اه . والصواب ان الاسم عبريّ الاصل ولفظهُ يشماعيل وهو مركبٌ من كلمتين يشماع اي يسمع وايل (بالامالة) وهو اسم الله . وكم لهم من امثال هذه

نيشابور وكذلك الدشت يقولون دست فيبدلونها سيناً [1] • انتهى المقصود منهُ
وقال في شفاء الغليل اعلم انهم قد يغيرون الكلمة الاعجمية فيبدلون

التخرصات كقول السهيلي اسم جبريل عليه السلام سرياني ومعناهُ عبد الرحمن او عبد العزيز • قال في تاج العروس وذكر الجوهري والازهري وكثير من الائمة ان جبر وميك (اي من جبرائيل وميكائيل) بمعنى عبد وايل اسم الله وصرّح به البخاري ايضاً قال وردّهُ ابو عليّ الفارسي بان ايل لم يذكرهُ احدٌ في اسمائه تعالى • ثم قال قال شيخنا ونقل عن بعضهم ان ايل هو العبد وان ما عداهُ هو الاسم من اسماء الله كالرحمن والجلالة وايدهُ باختلافها دون ايل فانهُ لازم كما ان عبد دائماً يذكر وما عداهُ يختلف في العربية وزادهُ تأييداً بان ذلك هو المعروف في اضافة العجم وقد اشار لمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي • اه وهو من غريب الجرأة في البحث • والصحيح ان ايل اسم الله بالعبرية كما تقدم قريباً وجبر بمعنى رجل فمعنى جبرائيل رجل الله وميكائيل او ميخائيل معناهُ من مثل الله لان مي بمعنى من الاستفهامية والكاف بعدها هي كاف التشبيه منهم من يلفظها كافاً ومنهم من يلفظها خاء • واما ما ذكرهُ عن الاضافة عند العجم فهو في غير العبرية وانما الاضافة فيها على حكمها في العربية

(١) وبقي هنا العكس وهو ابدال الشين من السين كما في فيلبش وبرشاوش وشيشرون وغيرها واصلها بالسين المهملة • وهذان الحرفان كثيراً ما يترادفان بين العربية وبين العبرية والسريانية كما في الشفة والشمال وشهدَ وشيء وغير ذلك مما جاء في هاتين اللغتين بالسين المهملة وهو عندنا بالمعجمة • وقد تبدل الشين المعجمة فيهما ثاء عندنا كما في الثور والثكل وثمَّ بمعنى هناك واصلها في العبرية بالشين المعجمة ومن ذلك الشَشقلة التي توقف فيها صاحب الجمهرة قال قيل ليونس بمَ تعرف الشعر الجيد فقال بالششقلة قال الششقلة ان تزن الدينار بازاء الدينار لتنظر ايهما اثقل ولا احسبهُ عربياً محضاً • اه والصحيح انهُ عبري او سرياني نقلهُ العرب بلفظه واصلهُ بشين واحدة فزادوا في اوله شيناً اخرى • وعامة الشام يقولون شقشل الشيء فيوسطون القاف بين الشينين وهو عندهم بمعنى رازهُ ومن هنا أُخذ الشاقول وهو آلة للمهندسين يزنون بها السطوح

الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً وربما ابعدوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازمٌ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ فيبدلون حرفاً بآخر ويغيرون حركتهُ ويسكنونهُ ويحركونهُ وينقصون ويزيدون... ثم نقل عن سيبويه انهم يبدلون مكان آخر الحروف التي لا تثبت في كلامهم الجيم وذلك نحو كوسه وموزه وبنفشه اي يقولون فيها كوسج وموزج وبنفسج . وهنا كلامٌ مظلم يتخلص من جملتهِ انهم قد يبدلون من هذه الجيم قافاً فيقولون في كوسج كوسق وفي كُربَج كُربَق وفي كيلجة كيلقة . قلنا وربما زادوا الفاً قبل القاف كما في رُستاق معرَّب رسته وهو نادر

وجاء في مقدّمة ابن خلدون ما نصهُ بعد كلام ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروفٌ ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلاء من العجم . ثم ان الكتّاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروفٍ مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وباء وجيم وراء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمهُ بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليهِ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغييرٌ للحرف من اصلهِ . ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمآئهم او بعض كلماتهم حروفٌ ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف الذي يليهِ فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدلّ على الحرفين

اللذين يكتنفانهِ ليتوسط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ . وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قرآءة خلَف فان النطق بصادهِ متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودلّ ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدةً من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسط بين الكاف والجيم أو القاف .. ولو وضعناهُ برسم الحرف الواحد عن جانبيهِ لكنا قد صرفناهُ عن مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيَّرنا لغة القوم . انتهى

هذه زبدة ما وقفنا عليهِ من كلامهم في هذا المعنى وسنردفها ان شاء الله بما يعنّ لنا من الايضاح والتفصيل مع ذكر سائر الاحكام التي يسوق اليها البحث للوصول الى تمام هذا المقصد والله الموفق الى السداد

السلّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

(تابع لما قبل)

وغنيٌّ عن البيان ما لهذا الدآء العيآء من الفتك الذريع في جميع اقسام المعمور حتى انهُ قد يربو معدَّل من يموتون بهِ عن سُبع العالم اجمع منهم شبان هذا العصر وشاباتهُ الذين وقفوا حياتهم في سبيل خدمة العلم وعليهم

يتوقف نجاح الامم وعندهم محط رحال الآمال فتذبل زهرة شبابهم وهم بين الاقلام والمحابر ويكبو جواد حياتهم وهم بين المحافل والمنابر . نعم ان بعض الامراض الوافدة كالطاعون والهوآء الاصفر والجُدَريّ واشباهها شديدة الوطأة كثيرة الفتك الا انها لا تعم العالم اجمع ولا تلبث طويلاً حتى تزول وبالعكس من ذلك هذا الداء فانهُ لا يعرف الملل ولا يسأم الاقامة بل كلما طال مكثهُ زاد عددهُ وكلما زاد عددهُ زاد فتكهُ . فهذه اوربا وهذه اميركا اللتان زهر فيهما نبراس العلم واتسع فيهما نطاق الطب تئنّان من ثقل وطأة هذا الدآء وقد زاد انتشارهُ في اميركا الى حدٍ يفوق التصديق حتى عمّ بعض اقسام البلاد واجتاح عدداً عديداً من العباد فاستطار خوفهُ في القلوب واستولت الاوهام على الخواطر حتى صار الانسان كلما تنفس الهوآء او عاد مصدوراً او زار مسلولاً يتبادر الى وهمهِ ان مكروب هذا الدآء قد علق بهِ والتصق باهدابهِ واذا احسّ بالمٍ حُداريّ في عضلات صدرهِ عدّهُ من اعراض الدآء وحسبهُ من المنذرات بهِ واذا اصابهُ بعض الزكامات البسيطة وتواتر عليهِ السعال ادخل نفسهُ في عداد المصدورين فهام في عالم الخيال خوفاً وتاه في بيداء الوهم رعباً . ولا ينكر الخوف من مثل هذا الدآء الفتاك الذي يغتال الانسان من حيث لا يدري ويدبّ اليه من حيث لا يشعر ولكن الخوف منهُ كثيراً ما يكون في غير محلهِ لان مكروب هذا الدآء لا يصبر على حرارة الهوآء ولا يقوى على احتمال اشعة نور الشمس واذا دخل الرئتين خرج منهما او اهلكتهُ حويصلاتهما على نحو ما سلف بيانهُ ولا سيما اذا لم يكن في الجسم الاستعداد المذكور آنفاً والاّ لكان كل

من تنفس الهوآء مصدوراً وكل من لازم المصدور مسلولاً . اما العدوى من اكل لحوم الحيوانات المصابة بهذه العلة فنادرة جدًّا لان المطبوخ منهُ معقَّم بحرارة النضج والنيء قلما يكون فيهِ هذا المكروب لانهُ يندر اصابة الجهاز العضلي بالتدرن . اما ألبان هذه الحيوانات فلا يكون المكروب فيها الا اذا كان ضرعها مصاباً بالتدرن وهب انهُ وجد في اللحوم والالبان فحرارة الطبخ تتكفل باهلاكه وعصارات المعدة تقضي باتلافهِ الاَّ فيما ندر

اما علاجهُ فالنافع فيهِ ما كان في بدآءتهِ فقد جآء في الامثال السيّارة ان مداواة العلة قبل تمكنها وهو كلام لعمر الحق بلغ من الاصابة حدها واصاب من الحقيقة كبدها فانهُ مع شدة امتناع هذا الدآء الوبيل على العقاقير الطبية والمواد الكيمية والعلاجات المصليَّة ومع عجز جمهور الاطبآء عن مداواتهِ وتدارك عواقبهِ اذا ازمن فهو في بدآءتهِ سهل العلاج سليم العاقبة اذا تدُورك في حينهِ حتى لقد يذعن للوسائط البسيطة فقد جآء في المجلاّت الطبية الحديثة ما محصلهُ ان هذا الدآء قابل الشفآء في كثيرٍ من حوادثهِ الابتدآئية خلافاً لما يزعمهُ البعض وذلك باتخاذ التدابير الصحية من مثل السكنى في الاماكن الجافة الهوآء المكتنفة بالغابات والاشجار ذوات الاوراق الدقيقة كالصنوبر والسرو وغيرهما والتجوُّل بين هذه الاشجار والرياضة اللطيفة المعتدلة على قدر ما يحتملهُ المقام وتسمح به حالة المريض والاغتذآء بالمطاعم الكثيرة الغذآء ولبس الثياب الصوفية مباشرةً للجلد وتعوُّد النوم في المساكن المفتوحة النوافذ بحيث يتجدد فيها الهوآء ليلاً واحتمال البرد لانهُ يُعَدّ من المنعشات المقوّيات الا انهُ ينبغي تجنُّب الجاري

الهوائية التي من شأنها اثارة الزكامات الصدرية والالتهابات الحادّة . وعلى الجملة فان عيشة البداوة وتعوُّد الخشونة والسكنى في الهواء المطلق والتعرُّض لنور الشمس وكبح جماح شهوات النفس كل ذلك من اشدّ المقوّيات للاعضاء التنفسية واعظم مقاومات هذا الداء . وبعكس ذلك ترف العيش ونعومة الحياة والسكنى في الاماكن المحصورة الهواء المحجوبة عن نور الشمس ومعاناة الدرس الطويل واحياء الليالي واتّباع هوى النفس والتطوُّح في العوائد الذميمة فانها مضعفة للبنية مثيرة للداء . ومن هذا القبيل ادمان المسكر والتدخين على انواعهِ فانهما يثيران الزكامات ويضعفان المعدة ويعدّان الجسم لقبول الداء

فاذا ثبت ذلك كان من المهمّ جدًّا معرفة بداءة هذا الداء حتى يُتدارَك امرهُ قبل فوات الفرصة اذ يتعذر شفاؤُهُ فيما بعد بيد ان معرفة هذه البداءة ليست بالامر السهل فقد تفوت معرفتها جهابذة هذا الفنّ ويشتبه عليهم امرها مع ما هم عليهِ من كثرة العلم وتوفر ذرائع التشخيص فكيف بمن هم دون هذا القدر من العلم والوسائط فكثيراً ما يلتبس هذا الداء بالامراض الصدرية البسيطة ويظلّ كذلك الى ان تظهر الاعراض الاخيرة من مثل الكهوف والهزال وحمّى الدقّ والعرق الليلي وعندئذٍ يُحكم بان الداء من نوع التدرُّن ويُسرَع في علاجهِ ولكن حين لا ينفع العلاج . غير ان ما استُحدث من الوسائط التشخيصية كالحقن بالتوبركولين وحقن الحيوانات القابلة هذا الداء بنفث المصدورين قد فتح باباً لتشخيص هذه العلة في بداءتها فرجاؤنا ان تحقق هذه الوسائط ويتمّ استعمالها اذ على معرفة بداءة

هذه العلة يتوقف نجاح العلاج . وعندي ان من كان في ريبٍ من هذا الداَء او في خوفٍ منه فالاحرى ان يلجأ حالاً الى استعمال التوقيات الصحية التي مرّ بيانها دون ان ينتظر تحقيق العلة ولا سيما وهذه الوسائط ميسورة لكل من شاء ان يعمل بموجبها . اما التحفظ من العدوى والحذر من معاشرة المصدورين فغير كافٍ في الوقاية لامكان وجود المكروب في كثير من الاماكن المأهولة بالسكان التي لا مندوحة له من استنشاق هوآئها وحينئذٍ فأفضل ما ينبغي اعتمادهُ التذرُّع بالوسائط المقوّية التي سبق بيانها واكساب الجسم المناعة ضدّ هذا الداء

واما العلاج الدوآئي فهو من خصائص الطبيب ولذلك لا نتعرض للكلام فيهِ هنا اذ المقصود ان نتلو على القرآء ما يفيدهم بصيرةً في توقي هذه العلة مما لا يغمض فهمهُ عن احد ولا يحتاج الى درسٍ وعلم والله الواقي

﴿ النسآء الرحّالات ﴾

يعجب الشرقيّ اذا سمع ان النسآء الاوربيات يطلبنَ اللحاق بالرجال ومشاطرتهم الخُطَط السياسية والحربية والقضآئية وسائر الاعمال التي اختصّ الرجال بها انفسهم لزعمهِ انهنَّ لا يصلحنَ الا للمهمّات البيتية التي قُسمت لهنَّ بترتيب الطبيعة وكانت نصيبهنَّ من مطالب العمران . وهذا مع انهُ حقٌّ لا مراء فيهِ فانهُ لا يمنع ان يكون عندهنَّ من القوَى البدنية والعقلية ومن علو الهمم وكبر النفوس ما يضارعنَ بهِ الرجال ويقمنَ مقامهم في كثيرٍ من الاعمال . ومن علم ان في النسآء الاوربيات عالمات واديبات

وخطيبات وشاعرات ومؤلفات في كل فنّ وباحثات في كل علم وأن فيهنّ ذوات اقدام على ركوب اعظم الاهوال والاضطلاع بأشقّ الاعمال مما يبارين فيهِ اعاظم الرجال لم ينكر عليهنّ التطالّ الى مساواة الرجل ومطالبتهِ بحقّ قد وهبهُ لهنَّ الخالق سبحانهُ وتعالى واصبح من خصائصهنَّ التي لا يُدفعن عنها ولا عليهنَّ فيها امتنان . وليس غرضنا هنا البحث في هذا المعنى ولكن الذي ساقنا اليهِ ما قرأناهُ في احدى المجلات العلمية من الكلام على النسآء الرحّالات ووصف ما اظهرنهُ من الاقدام على العظائم في فصلٍ مطوَّل ذكرت فيهِ عدةً كثيرة منهنَّ تجشمنَ مشاقّ الاسفار وتعرّضنَ لمكافحة الاخطار وفيهنَّ من كانت رحلتهنَّ في خدمة العلم والبحث عن اسرار الطبيعة مما اذنَّ بهِ الفوائد الجليلة وسجلّنَ لانفسهنّ الذكر المجيد

فمن اولئك الرحالات امرأةٌ نمساوية يقال لها ايدا پفايفر سافرت في اواسط القرن الحالي وابتدأت رحلتها وهي في سن الخمسين فتوجهت اولاً الى البلاد العثمانية ثم الى مصر وايطاليا وانتقلت من هناك الى بلاد ازلندا وجابت الممالك الثلاث السكنديناوية ثم ركبت البحر الى ارض البرازيل ومن هناك انقلبت الى جزائر تايتي ثم الى ماكو من بلاد الصين ثم الى هنغ كنغ فسيلان ومدراس وكلكوتا وبمباي ثم وافت العراق العجمي عن طريق خليج فارس فانتهت الى البصرة وبعد ان تفقدت آثار نينوى جابت بلاد الاكراد وافضت منها الى روسيا . ثم لم تكد تستقرّ بعد هذه الرحلة الطويلة حتى باشرت سفرةً اخرى انتهت فيها الى جزيرة مدَغسكر فاقامت

بها ثلاثة اشهر وكتبت في ذلك رحلةً مشهورة وكانت هذه السفرة آخر سياحاتها لانها عادت من مدغسكر بمرضٍ اقترفته من وبالة هوآئها فماتت في ڤينا سنة ١٨٥٨

ومنهنَّ رحالةٌ اخرى تسمى مادام كرلو سيرينا يقال انها فرنسوية الاصل كانت مقيمة بلندرا ولم تكن رحلتها اقصر مسافةً ولا اخفّ مشقةً من التي سبق ذكرها. وكان السبب في سفرها انها كانت نحيفة الجسم ضعيفة البنية فوصف لها الاطباء الخروج مدةً للسياحة وتبديل الهواء فخرجت من لندرا في اول اوغسطس سنة ١٨٧٤ على ان تتنقل في البلاد مدة خمسة اشهر ثم تعود فتأوي الى منزلها فتوجهت اولاً الى بلاد اسوج وتجولت في نواحيها وفي اثنآء ذلك دعاها الملك الى زيارة نروج ففعلت وصعدت الى الجبل المسمى سوليزلما وهو اعلى جبال الشمال ثم انتقلت من نروج الى فِنلندا فروسيا وامعنت في مفاوز غاتيشاي حتى صدّتها الثلوج عن التقدم فعادت وقصدت الديار المصرية لتتفقد الآثار الموسوية وزارت داخل الاهرام ثم ارتحلت الى فلسطين والبلاد العربية وطافت في تلك الجهات حتى وصلت الى البحر الميت ثم قصدت سوريا وكاتبت المرحوم الامير عبد القادر الجزائري فدعاها الى دمشق غير انهُ في تلك الاثنآء انتشرت الكوليرة في الآفاق السورية فعدلت الى بلاد اليونان وبعد ان جالت فيها توجهت الى بلاد الترك والقوقاس فمرّت بالاناضول ومنغراليا وكلوخيدا وانتهت الى تفليس وكانت تنوي السياحة في اراضي الفرس ولكن صادفت من سوء المعاملة لما عند اولئك القوم من الاستخفاف بالنسآء ما عدل بها

عن قصدها فسارت الى بلاد القلموق وهم اقوامٌ من المغول يقطنون ببعض اطراف البلاد الروسية ومن هناك دخلت روسيا فانتهت الى بطرسبرج ومنها عادت الى لندرا

ومنهنَّ مادام ايزابلاَّ ماسيو سافرت سفرةً طويلة في بلاد آسيا قضت اكثرها على ظهر الجواد فمرّت في مسيرها على ارض الجزيرة وهي ما بين النهرين ثم لبنان ثم تيبت وبلاد الكوشنشين وسيام وبرمانيا وارض التنكين ووادي ينغ تسي ثم اليابان والصين وصحرآء المغول وجنوبي سيبيريا وتركستان وتشكند وسمرقند وتفليس ومسكو وبعد ما قضت هذه السفرة الطويلة العجيبة رفعت فيما وقفت عليه تقريراً الى الجمعية الجغرافية بباريز يتضمن فوائد شتى مما يستنير به الجغرافي والعالم والباحث في اخلاق الامم وطبائع الموجودات

ومنهنَّ مادام دتّانو سافرت في البلاد الافريقية بقصد الاكتشاف الجغرافي وكتبت في ذلك رحلةً نفيسة غزيرة الفوائد نالت عليها جائزة شرف من ندوة العلم في فرنسا

ومنهنَّ مادام ديولافوا ساحت في بلاد سوزيانا وطافت اكثر بلاد الفرس وجمعت شيئاً كثيراً من العاديّات الثمينة في تلك الديار هو اليوم بين آثار اللوفر وتعلمت لغات الفرس على اختلاف لهجاتها وقد اجيزت على ذلك بالوسام المشهور المعروف باللجيون دونور

وهناك رحالاتٌ أُخر من نسآء العصر الحالي والاعصر المتقدمة يقتضي استيفآء الكلام عليهنَّ عدة صفحات فاكتفينا بذكر اشهرهنَّ حب

الاختصار . وقد المت المجلة المذكورة بوصف ما عرض لبعضهنَّ من شدائد السفر في البرّ والبحر وما لاقينَ من المخاوف والاهوال وما قاسينَ من شدة الحرّ والبرد في مختلف الاقاليم فان منهنّ من وصلت من البرد الى ٤٤° من المئوي (السنتغراد) تحت الصفر ومن اشتدّ عليها الحرّ الى ٤٩° في الظلّ ومنهنَّ من قاست الحالين جميعاً فان مادام پفايفر كانت تنتفض من شدة البرد على قمم شمبورازو وكوتوبكسي وكادت تختنق من الحرّ تحت شمس بُرنيو ومدَغسكر . ومما اتفق لها انها سافرت في اول الامر مع زوجها فلما كانا في بعض الطريق عرض لهما اسدٌ فنهش زوجها في كتفه نهشة اقتلع بها ما وقع بين انيابه فمات بعد ايامٍ قلائل في موضعٍ يقال لهُ مازانو بالقرب من مصبّ نهر زمباز . ولما دخلت جزيرة برنيو اعتقلها احد زعماء الجزيرة فاقامت مدةً في محبسهِ وهو يبعث اليها المرّة بعد المرّة برؤوس مقطوعة وجماجم بشرية . ولما كانت في مدَغسكر اتهمتها راناڤالو ملكة الجزيرة بدسيسة سياسية فقضت عليها بالموت لكن لم تذكر كيف تخلصت . الا ان كل ذلك لم يمنعها ان تبحث بحثها وتجمع ما تركهُ زوجها من التعاليق العلمية والتاريخية وترسم بعض المناظر والاشباح او تصوّرها بالفوتغرافية وترتبها في برنامج مخصوص مما يدلّ على ان للمرأة من الجلَد على ملاقاة العظائم ومقاواة الشدائد ما لا يقلّ عن جلَد الرجل وان البنية فيها وفي الرجل واحدة وان اعفاها الرجل من الاعمال الجسيمة والتكاليف الشاقة رفقاً بها او استضعافاً لبنيتها فسبحان من افاض آلاءهُ على جميع مخلوقاتهِ وهو الوهاب الحكيم

جوائز علمية وطنية

تألفت لجنةٌ من سراة العاصمة تحت رئاسة حضرة صاحب السعادة اسمعيل باشا صبري وكيل نظارة الحقانية للسعي في اكتتابٍ عموميٍ تُرصد قيمة المتحصل منهُ لتعيين جوائز سنوية توزَّع باسم فقيد العلم والوطن المرحوم علي باشا مبارك . وقد اجتمع عن هذا الاكتتاب مبلغ خمس مئة جناي مصري فقررت اللجنة المشار اليها ارسال هذا المبلغ الى الجمعية الخيرية الاسلامية لتشتري بهِ عقاراً تخصصهُ باسم المرحوم علي باشا مبارك ويُقسَم ريعهُ السنوي عشر جوائز توزَّع على النابغين من تلامذة مدارسها الخيرية في اللغة العربية وفي الفنون والصنائع اليدوية . واذا بطلت مدارس الجمعية المشار اليها لسببٍ من الاسباب يحال العقار المذكور الى عهدة نظارة المعارف فتخصصهُ للغرض نفسهِ وتوزع ريعهُ على عشرة من النابغين من تلامذتها في الفنون والصنائع اليدوية بلا تمييز في العقائد والاجناس

فنشكر للَّجنة المشار اليها جميل سعيها في مكافأة هذا الفاضل على ما سبق لهُ من الخدم الجليلة في رفع منار العلم ونتمنى ان يكون صنعها هذا قدوةً لافاضل البلاد ومثيرها في انشآء مثل هذه المأثرة المشكورة لما فيها من تعزيز جانب العلم وحث اهلهِ على العمل والمثابرة في سبيل منفعة الوطن

فوائد

تنظيف الادوات النحاسية — تُمزَج خلاصة التربنتينا بالمسحوق الطرابلسي (التريبولي) ويُفرَك بها النحاس فيعود كما كان في حال جدّتهِ

طلآء ذهبي — يحلّ ١٥٠٠ غرام من ورق اللكّ في ٣ لترات من روح الخمر (السبيرتو) ويُترَك هذا المحلول في حالة السكون حتى يصفو . ثم يُحَلّ ٢٥٠ غراماً من السندروس و ٢٠٠ غرام من المصطكا و ٢٥٠ غراماً من الصمغ الراتنجي و ٥٨ غراماً من دم التنين ويضاف هذا المحلول الى المحلول الاول فيكون من ذلك طلآء بلون الذهب الصافي . فاذا اريد ان يكون بلون الذهب المحمرّ زيد عليهِ شيءٌ من دم التنين

منع صدأ اللوالب — اذا كانت الآلات ذات اللوالب (البراغي) معرَّضة للحرارة والهواء الرطب فان لوالبها وان كانت مزيتةً لا تلبث ان تصدأ فيصير حلها شاقاً حتى يُضطرّ الى اخراجها بالعنف وذلك قد يؤدي الى تلفها . ولتلافي ذلك تؤخذ اللوالب قبل الاستعمال وتُغمَس في مُغلًى رقيق من الزيت والغرافيت (البلمباجين) فتبقى سهلة الاستعمال مدة عدة سنين

ولا يخفى ان ذلك فضلاً عما ذكر من السهولة فيهِ فائدةٌ للآلة بجملتها لما يكون عنهُ من قلة الاحتكاك في حركة اللوالب فتنصرف القوّة الى مجموع الآلة

اسئلة واجوبتها

بغداد — نرجو اجابتنا على هذين السؤالين

(١) كم فعلاً من الاجوف تصحّ عينهُ مثل عوِرَ واجتوَرَ وما السبب في ذلك

(٢) كم عندنا من الافعال التي يأتي امرها على حرفٍ واحد احد المشتركين

الجواب — اما الافعال التي تصحّ عينها فهي من الثلاثيّ كل فعلٍ جاء الوصف منهُ على أفعَل كأحوَر وأهيَف وهذه الصيغة لا تُعلّ عينها محافظةً على وزنها فحملوا الفعل على الوصف ليجري كلاهما في طريقٍ واحد وقيل حملوا المجرَّد منهُ على صيغة افعلَّ نحو احورَّ وابيضَّ كما حملوا افتعل على تفاعل فيما سيجيء . والافعال التي جاءت كذلك بضعةٌ وثلاثون فعلاً منها عشرة من الاجوف اليائيّ والبواقي من الواوي

وجاء من غير هذا الباب قولهم عَوِزَ الشيء اذا قلّ فلم يوجد فهو عوِزٌ بوزن كتِف وهو نادرٌ وأيِس الرجل بمعنى يَئِس وهو مقلوبٌ منهُ . وربما جاءت الصفة على أفعَل ولم يُحكَ في فعلها وزن فَعِل والمسموع من هذا رجلٌ أشيَم اذا كان بهِ شامةٌ ومكان أفيَح اي واسع فان الفعل من الاول شام يشيم مثل باع يبيع ومن الثاني فاح يفاح بالاعلال على حدّ هاب يهاب . وبقي لفظٌ ثالث وهو قولهم رجلٌ أخيَل وهو ذو الخال فانهُ لم يُحكَ منهُ فعلٌ البتة

واما من غير الثلاثي فجآء ذلك في الفاظٍ من صيغة افتعل الذي للمشاركة حملاً على تفاعَل بمعناهُ لان هذا لا يُعَلّ وهي ثلاثة افعال لا يحضرنا غيرها يقال اجتَوَرَ القوم بمعنى تجاوروا واعتَوَروا الشيء بمعنى تعاوروهُ واحتوَشوا الصيد اذا حاشهُ كلٌّ منهم على الآخر . ويلحق بها قولهم احتوَلوهُ اذا قاموا من حولهِ واقاموهُ في وسطهم وهو مشتقٌّ من لفظ حَوْل او حَوال فتركوهُ بلا اعلال تنبيهاً على اصلهِ . وسُمِع في الفاظٍ من صيغتي أفعل واستفعل مثل أعوزَ الشيء وأعوَلَ الباكي واستحوَذت عليهِ واستصوَبت رأيهُ وأطيبَتُ الشيء واستطيبتهُ وهي افعالٌ شذَّت عن القياس

واما الافعال التي يجيء الامر منها على حرفٍ واحد فهي كل فعلٍ من اللفيف المفروق واويّ الفآء مكسور العين في المضارع مثل وفى يفي ووَلي يلي وهي بضعة عشر فعلاً . وحكي مثل ذلك في الامر من أتى يقال تِ بحذف همزتهِ وهي لغةٌ لبعض العرب حكاها ابن جنّي والله اعلم

القاهرة — من اي شيء اشتُقَّت كلمة « النادي » وما توجيه اشتقاقها

نقولا ميخائيل

بمدرسة الآباء اليسوعيين بالقاهرة

الجواب — في اشتقاق النادي وجهان احدهما ان يكون اسم فاعل من قولهم ندا القوم بالمكان اذا اجتمعوا فيهِ فيكون النادي مفرداً بمعنى الجمع على حدّ الحاجّ بمعنى الحُجّاج والسامر بمعنى السُمّار ووُضع في الاصل للقوم المجتمعين ثم أُطلق على المجلس الذي يجتمعون فيهِ من باب تسمية المحلّ

باسم الحالّ فيهِ . والوجه الثاني ان يكون من قولهم هؤلآء قومٌ لا يندوهم النادي اي لا يسعهم فيكون على هذا اسم فاعل يراد بهِ المكان من طريق المجاز على حدّ اشتقاق الجامع والساقية وما جرى مجراها

القاهرة — نرى اعمار الحيوانات تختلف طولاً وقصراً فمنها ما يعيش مئة سنة او اكثر ومنها ما يعيش بضعة ايام فهل من قاعدةٍ تقدَّر بها المدة التي يمكن ان يعيشها كل نوعٍ من الحيوان يوسف صوايا

الجواب — هذه من المسائل التي طالما اشتغل علمآء الحيوان في الوصول الى حقيقتها وقد ظهر لبعض المتأخرين منهم وجود نسبة بين عمر الحيوان والمدة التي يبلغ فيها تمام نموّهِ فوجد انها تكون على نسبة ١ الى ٥ اي اذا تمّ نموّ البنية في ٢٠ سنة مثلاً كانت الحياة ١٠٠ سنة او حواليها . اما علامة تمام النموّ فهي بلوغ قصب العظام نهاية تصلُّبهِ حتى تتماثل جميع اجزآئهِ وقد استقرى ذلك في عدة انواع من ذوات الثُديّ فوجد انهُ يكون في البعير لتمام ثماني سنين من حياتهِ وفي الفرس لتمام خمس سنين وفي الاسد والثور لتمام اربع وفي الكلب لتمام سنتين وفي الهرّ لتمام سنة ونصف الى غير ذلك . وبمقتضى القاعدة المذكورة فالبعير يعيش ٤٠ سنة والفرس يعيش ٢٥ والاسد والثور يعيشان ٢٠ وهلمَّ جرًّا . وعليهِ فالانسان ينبغي ان يعيش نحو ١٢٠ سنة لانهُ يبلغ تمام نموّهِ في نحو الخامسة والعشرين من عمرهِ الا ان الذين يبلغون هذا المقدار من السن هم من اقلّ الناس عدداً لان الحياة لا تخلو من العوارض التي تخترم صاحبها قبل اوانهِ وهذا

هو الاكثر والاعمّ في الانسان وغيره حتى يصح ان يقال ان اكثر حوادث الموت تُعدّ ضروباً من القتل

على ان من الناس من قد يتجاوز المدة المذكورة وقد ورد في التاريخ ذكر عدةٍ من هؤلاء منهم رجلٌ من الدنمرك يقال لهُ دراكنبرغ عاش ١٤٦ سنة ويقال انهُ تزوج في سن ١١١ وآخر يقال لهُ توماس بار توفي في سن ١٥٢ ومنهم رجلٌ من بولونيا بلغ ١٦٣ سنة وتزوج في سن ٩٣ ووُلد لهُ وذُكر عن رجلٍ نروجي يقال لهُ يوحنا سورنكتون انهُ توفي في سن ١٦٠ وكان لهُ ابنٌ عمرهُ ١٠٣ سنين وآخر عمرهُ ٩ سنوات . واكبر من يُذكَر من هذه الطبقة رجلان احدهما من اكوسيا يقال لهُ كِنتيجَرْن والآخر من نواحي النمسا يقال لهُ اكزَرتان قارب كلٌّ منهما ١٨٠ سنة على ان بعض هذه الروايات قد لا يخلو من مبالغة والله اعلم

طرابلس الشام — اطلعت في الجزء العاشر من السنة الثانية من مجلتكم الضيآء على جواب التمييز بين مَن الشرطية ومَن الموصولة فرأيت فيه الحكم بان الاولى هي عين الثانية لكن الثانية تتضمن معنى الشرط فيُجزَم بها فهل هذا عن نصٍّ او اجتهاد ارجو الافادة ولكم الفضل

عبد الله تامر

الجواب — لم نجد من نص على هذه المسئلة نصاً صريحاً ولكنها من جزئيات المسائل التي تندرج تحت كلياتها فرددناها الى قاعدة بابها

آثار ادبيّة

العالَم الانكليزي — هو عنوان كتابٍ الفهُ حضرة الذكيّ المجتهد بشارة افندي كنعان ضمّنهُ كل ما يهمّ الوقوف عليهِ من تاريخ الامة الانكليزية وجغرافية بلادها وما تقلبت فيهِ من الاطوار وتبدل عليها من الدول الى الزمن الحاضر وافرد فصلاً مطولاً في تاريخ الملكة فيكتوريا وما بلغتهُ انكلترا لعهدها من القوة والسطوة وامتداد الظل وما حدث في ايامها من الفتوح والاستعمار في كل قطرٍ من اقطار الارض ثم انتقل الى وصف اخلاق الانكليز وعاداتهم واطوارهم ونظام سياستهم وما يتصل بذلك من سائر احوالهم وختم الكتاب بفصلٍ ضمّنهُ تراجم من اشتهر من عظمآئهم وعلمآئهم وشعرآئهم فجآء كتاباً وافياً كثير الفوائد يغني عن مطالعة كثير من المؤلفات

والكتاب حسن الطبع جيد الورق مزين بصور بعض الاعلام وهو مقسومٌ الى مجلدين يزيد مجموعهما على اربع مئة صفحة وقد طُبع بالتزام حضرة الاديب امين افندي هندية صاحب المكتبة والمطبعة المشهورتين بالقاهرة وهو يُطلب من المكتبة المشار اليها ومن مؤلفهِ وثمن النسخة منهُ عشرون غرشاً مصريًا

فكاهات

رواية

حفظ العهود (١)

كان لاحد نبلآء الانكليز ولدٌ وحيد بين خمس اخوات فعني بتربيته على قواعد الفضيلة وتهذيبهِ باشرف الآداب والعلوم ولا سيما وان الاب كان قد طعن في السن وشعر بقرب الاجل فاحب ان يموت مطمئن القلب موطد الامل بوجود من يحيي اسمهُ من بعدهِ ويقوم بسياسة الاملاك الواسعة والثروة الطائلة ويكون عضداً للفتيات الخمس ووالدتهنَّ . وكان الولد واسمهُ هنري قد تلقى من والدتهِ منذ حداثتهِ الآداب الدينية والاخلاق الحسنة وادرك انهُ سيكون يوماً ما هو الخليفة الوحيد لوالدهِ فلم يكن يميل كباقي اولاد العظمآء الى الترف واللهو والاسراف فشب فتًى حريصاً طائعاً لطيفاً مكمَّل الصفات الادبية ولما حان زمن ارسالهِ الى المدرسة الجامعة اخذهُ اليها والدهُ وسلمهُ الى حراسة الله وعناية الاساتذة . وبقي هنري في المدرسة بضع سنوات عاد في نهايتها على غاية ما كان والدهُ يتمنى فتلقاهُ بوجهٍ طاقٍ وضمهُ الى صدره وقد ايقن منهُ بالخلف الصالح الذي يحيي اسمهُ ويكون عضداً لمن يليهِ . ثم خطر لهُ انهُ لا بد ان يكون في حاجة الى ترويح النفس

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

من عنآء الدرس فنقده مبلغاً من المال وامره ان يذهب فيتجول مدة في عواصم اوربا او حيث شآء ثم يعود اليه بعد ان يكون قد اكتسب صحة ونشاطاً فيسلم اليه مقاليد الاشغال . فجهز هنري لوازمه وودع آله وسافر متنقلاً من مكان الى مكان ومن بلدة الى اخرى . وفي اثنآء الطريق تعرَّف برفيق يدعى برتران فسأله هنري عن وجهته فقال اني قاصدٌ مونت كرلو . فقال هنري وما عسى ان يكون هذا المكان . قال هو فردوس الهوى فيه غياض وادواح واوجهٌ ملاح وما شئت من لهوٍ وافراح . قال هنري اظنني قد سمعت به في انكلترا وهذا المحل تقصده الاغنيآء للمقامرة وقتل الوقت بالخلاعة . قال برتران انه لكذلك وقد دعاني بعض اصدقآئي لموافاته الى هناك فانا منطلقٌ اليه . قال هنري اما انا فلا ناقة لي في هذا المكان ولا جمل واني لآسف أني سأفارقك من الآن . فجعل برتران يزيّن لهنري المكان ويغريه بمرافقته قائلاً ان لم يكن لك ميلٌ الى المقامرة فامامك الغادات الحسان وان كنت لا تميل الى هؤلآء ايضاً فهنالك من المناظر الطبيعية وجودة الهوآء وحسن الموقع ما لا بد انك تستحسنه . وما زال عليه حتى وعده بالذهاب معه

ولما بلغا مونت كرلو انغمس برتران في اللعب واللهو واما هنري فأوى الى نزل كان يقيم به معظم اوقاته ويتجول احياناً في ضواحي المدينة للانتعاش بهوآئها الرطب ونسيمها العليل . وكان في النزل المقيم فيه هنري فتاةٌ تتعاطى الخدمة فلما وقع نظر هنري عليها اخذت بمجامع فؤاده وتأمل في هيئتها فرأى ملَكاً في صورة بشر فجعل يترقب الفرص لمحادثتها ثم اخذ

يفحص معارفها فوجدها اديبة مهذّبة قد تجسد فيها طيب الخُلق ورقيق الاحساس وكان كلما كلمها وسبر طباعها يزيد هيامهُ فيها . وسألها يوماً عما الجأها الى تعاطي تلك المهنة وقد كان في امكانها ان تكون على حالٍ افضل مما هي فيهِ . فتنهدت بتأوهٍ وقالت قد القاني حظي الى هذا المكان بارادةٍ قادرة لم يمكني مقاومتها واني لصابرة على حكم القضآء الى ان تنشلني من هنا يد العناية . وادرك هنري ان للفتاة سرًّا لا تحب ان تبوح بهِ فلم يزد في البحث عما هنالك غير انهُ ما زال يظهر توددهُ للفتاة الى ان كاشفها اخيراً بمحبتهِ وتبادلا العهود الوثيقة على الامانة والوفآء وتواعدا على الاقتران بعد ان تكون هي قد تممت زمن خدمتها ويكون هو قد رجع الى بلادهِ وحصل على رضى والديه . وبعد ان مكث هنري هنالك شهراً ودّع الفتاة وكان اسمها متيلدا وسافر راجعاً الى وطنه

وبعد ان رجع هنري الى والدهِ اخذ يترقب الفرص لمفاتحتهِ بالامر وكان والدهُ يودّ ان يزوّجهُ قبل وفاتهِ فلما اخذ هنري يسرد لهُ اوصاف الفتاة وآدابها ومعارفها برقت اسرّتهُ واظهر سرورهُ العظيم ولكنهُ لما علم ان الفتاة خادمة نزل في مونت كرلو انقلبت سحنتهُ فجحظت عيناهُ وتطاير الشرر من مقلتيهِ وصاح بولدهِ ماذا تقول ايها الغبيّ اتريد ان تتخذ لك امرأة تشاركك في حمل اسم هذه الأُسرة الشريفة وهي غانيةٌ من فنادق مونت كارلو . لقد سآء فألي ايها الولد العقوق وكنت فيما مضى اظنك مثال ابيك ولكنك لم تلبث ان كذّبت ظني وأريتني منك اخلاق السفَلة اللئام فيا لضياع الامل ويا لخيبة المسعى . آه يا ليتني متُّ حين خروجك

من المدرسة لانني في ذلك الحين كنت اظنك تعزية شيخوختي وخاتمة سروري اما الآن فسأنزل الى قبري وفي قلبي حسرات بل حسرةٌ واحدة تميتني غمًّا وقهراً وهي ان ارى أُسرتي التي شرَّفها آبآئي وجدودي يهينها ولدٌ ضالٌ نظيرك. اعلم يا هنري انني افضل ان ينقطع اسم هذه الأُسرة بوفاتي وتُدرَس جميع مآثرها من ان ارى فيك وارثاً يجلب على اسم آبائهِ الدناءة والعار فان بنات مونت كرلو لم يُخلقنَ ليمتزج دمهنَّ بدم اسرتي. واعلم يا هذا انك مخيَّرٌ بين امرين اما ان تقطع من هذه الدقيقة كل علاقةٍ مع هذه الفاجرة او ان تقطع من هذه الدقيقة نسبك بي

وكان هنري قد الجمتهُ مفاجأة والدهِ لهُ بهذه اللغة القاسية فوقف حيران كمن تتكسر النصال على اوصالهِ وهو لا يدري ماذا يفعل. وبعد ان صمت حيناً قال مهلاً يا ابتِ انك انت تقرُّ بحسن سيرة ولدك وتشهد لهُ بالعفة والادب فهل تعتقد انني لم افحص الفتاة فحصاً مدققاً وهل كنت آتيك بهذا الخبر لو لم اتحقق انها مثال العفة والطهر. فقال الوالد ولو كانت من ملائكة السمآء فكفاها انها في مونت كرلو. قال هنري عجباً يا والدي وهل تقلّ قيمة الذهب اذا وجد مطموراً في الاوحال والاقذار. قال قد كبرت عن ان اتعلم فلسفتك ولا احب الجدال فأجبني على سؤالي الاول في الحال. قال هنري ولكنك تحبّ مني ان اكون شريفاً والشرف يقوم بمحافظة الانسان على كلامهِ ومواعيدهِ فانا قد وعدت الفتاة ان لا اتزوج سواها ولا يمكنني ان احنث بيميني. فقال الوالد وقد ارغى وازبد كالجمل الهائج اذاً تترك اسرتك من اجل هذه الفاجرة فاذهب من بيتي ايها الدنيء واعلم انني

من الآن ليس لي ولدٌ يرث اسمي فاختر لنفسك ما يحلو لك واياك ان تؤمل الغفران فانني قد نبذتك وجحدتك وطردتك واني لاسكب عليك لعنات والدٍ شيخ في دقائقه الاخيرة فلتصبّ عليك السمآء غضبها ولتُخرج لك الارض مصائبها وليكسر الدهر قلبك كما كسرت قلب والدٍ ترجى فيك الخير فسآء فأله . أُغرُب من وجهي ايها الممقوت وانسَ ان لك والدَين واخوات . ولم يسمع هنري بقية كلام والده ولعناته لانهُ شعر بان الارض تهتزّ تحت قدميه وتخيل ان حجارة البنآء تتساقط على رأسه فخرج من البيت وهو لا يدري اين يذهب . وفيما هو منطلق رآهُ احد اصدقآء والده الاخصّآء يسير على غير هدًى فتبعهُ ولم يتركهُ حتى قص عليه هنري الخبر كما وقع فأشار عليه الصديق ان يبتعد عن انكلترا وانهُ هو يسعى في استمالة والده في غيابه ثم اسلفهُ مقداراً من المال وسافر هنري مرةً ثانية من بلاده وهو يردد في ذهنه كلمات والده الاخيرة فيرى الارض امامهُ جحيماً متقدًا بالنار وهو قد دُفع اليه فلا يرجو الخلاص

ووصل في مسيره الى بلاد الهند فعزم على اتخاذها وطناً لهُ وتعاطى فن التجارة فيها وكان لا يفتر عن مكاتبة حبيبته فكانت اجوبتها تزيدهُ ولعاً بها وشوقاً اليها وثباتاً على عهد ودادها واسفاً على ممانعة ابيه في الاقتران بها . ودام الحال كذلك مدة سنتين الى ان جآء البريد مرّةً ولم يكن معهُ رسالة من حبيبته فأظلمت الدنيا في عينيه وزادت شجونهُ وهمومهُ ومرّ شهران ولم يردهُ خبر من جهتها ولم يعلم ما حلّ بها ولا سبب انقطاعها عن مكاتبته فكاد يفقد رشادهُ

وفي ذات يوم ورد عليهِ كتابٌ من صديقهِ في انكلترا ينعى اليهِ وفاة والدهِ ويبشرهُ بان الوالد لما شعر بحلول الاجل ندم على ما فعل بابنهِ فرجع عن قسمهِ وغفر لهُ وعيّنهُ الوارث الوحيد لاملاكهِ واسمهِ وشرفهِ والحّ عليهِ صديقهُ بالحضور سريعاً الى وطنهِ ليستولي على ميراثهِ . فحزن هنري حزناً عظيماً على وفاة والدهِ وتمنى لو قدر ان يراهُ قبل مفارقة الحياة لكي يتزوّد منهُ البركة الاخيرة . اما رجوع الميراث اليهِ فلم يسرّهُ كثيراً لانهُ كان قد سئم الحياة بعد انقطاع اخبار حبيبتهِ ولم يعد لهُ مطمع في العيش الهنيء ولكنهُ علم ان عليهِ واجباً طبيعياً لا سبيل الى التفادي منهُ وهو الاعتناء باخواتهِ بعد وفاة والدهِ فاسرع في قطع علائقهِ في الهند وركب سفينة مسافرة توّاً الى انكلترا فوصل اليها واستولى على ميراثهِ وشرع يهتم بامر املاكهِ ولكن اهتمام من يسعى لمنفعة غيرهِ ولا يهمهُ امر نفسهِ

وكان ساكناً في جوار منزلهِ رجلٌ من اعيان الانكليز طاعن في السنّ قد قضى معظم حياتهِ في الاسفار والتنقل من بلاد الى اخرى مراعاةً لصحتهِ ومسرّتهِ . فاتفق ان هذا النبيل كان غائباً كعادتهِ يوم وصول هنري الى وطنهِ ثم انهُ بعد مدة عاد من سفرهِ وكان قد لقي في ايطاليا فتاةً من اسرةٍ انكليزية قديمة فمال قلبهُ اليها واقترن بها وجاء بها الى قصرهِ . ولما استراح النبيل من وعكة السفر ذهبت اخوات هنري للسلام على زوجتهِ قياماً بحقوق الجوار ولم يذهب هنري معهنَّ لشغلٍ منعهُ اذ ذاك . فلما انقضت الزيارة عادت اخواتهُ الى البيت وهنَّ يثنينَ على العروس ويذكرنَ جمالها ورقتها ودعتها وحسن آدابها وشرعنَ في وصف ملامح وجهها وقوامها

ولباسها وحركاتها وحديثها كما هي عادة النسآء في مثل هذه الحال فكان هنري يسمع لهنَّ في اول الامر غير مبالٍ بما كنَّ يقلنهُ ولكنهُ لم يلبث ان تنبَّه لحديثهنَّ ثم صار يضطرب وينتفض كالعصفور لانهُ وجد ان الوصف الذي كنَّ يصفنَ بهِ العروس كان منطبقاً تمام الانطباق على حبيبتهِ التي لم يعرف اين موضعها ولا اين كانت

وبعد ايام صنع النبيل مأدبةً حافلة دعا اليها كثيرين من اصحابه ومن جملتهم هنري واخواتهُ فلما وقعت عين هنري على العروس اضطرب اضطراباً شديداً وخفق قلبهُ وتلعثم لسانهُ لانهُ رأى بها حبيبتهُ المفقودة فجآء وسلّم عليها وهو لا يدرك معنى كلامهِ فاستقبلتهُ بوجه باشّ وسلّمت عليهِ سلاماً عادياً بمنتهى اللطف والرقة ولم تبدُ على محياها علامات الحبّ التي كان هنري يتوقع ظهورها . فتعجب وزاد قلقهُ ولكنهُ لم يقدر ان يطيل الحديث لان عدد المدعوين كان كبيراً وكان على ربة القصر ملاطفة الجميع والترحب بهم

وبعد الفراغ من الطعام صدحت الموسيقى وابتدأ الرقص فاغتنم هنري تلك الفرصة وسأل العروس ان ترقص معهُ فاجابتهُ ولما شرع في الرقص قال لها همساً ما اسرع ما نسيتني فالآن علمتُ سبب انقطاع كتبكِ عني . فنظرت اليهِ متعجبة وقالت لم افهم مرادك فاني لم اكتب اليك بتةً . قال ارجو ان تنزلي معي الى الحديقة فان الجميع مشتغلون الآن بالرقص ولي كلامٌ اقولهُ لكِ على انفراد . ثم قادها بيدها وسار بها نحو الحديقة فأجلسها تحت ظل شجرة ملتفة وجلس بجانبها وقال ماذا فعلتُ حتى احرقتِ قلبي بصدودكِ . ألم تعاهديني على الحب الصادق فلماذا نقضتِ عهودكِ . قالت

اني لا اعرفك يا هذا ولا اذكر اني رأيتك في حياتي فكيف تقول اني احببتك وعاهدتك وكتبت اليك. فما كان منهُ الا ان جثا على ركبتيهِ امامها والدموع تتساقط من عينيهِ وقال اذا شئتِ نسيان ما مضى فانا لكِ لاني احبكِ حباً لا استطيع لهُ وصفاً فانكري عهودك اذا شئتِ ولكنكِ لا تقدرين ان تنزعي حبكِ من قلبي فاهنئي مع زوجكِ واذا كان دعآء مثلي يستجاب فاني ادعو الله ان يجعل حياتكِ بركةً لكِ ولزوجكِ ولكل من ينتسب اليكِ. واني كنت قد وعدت نفسي بان اجعلكِ شريكة حياتي فسآء فألي ولكني لا اطلب لكِ الا الهنآء والسعادة ...

وفي تلك الدقيقة كان النبيل قد استبطأ زوجتهُ فجآء يطلبها فوجدها في الحديقة ووجد هنري جاثياً امامها فاستشاط من الغيظ وقال لهُ والغضب يقطع كلامهُ اخرج من منزلي حالاً فقد دنّست حرمة الجوار والمودة. ثم طرد هنري من باب الحديقة واقفل ورآءهُ ودخل بزوجتهِ الى الدار

اما هنري فاظلمت الدنيا في عينيهِ ولم يعلم ماذا يفعل لان انكار حبيبتهِ اياهُ وظن جارهِ بهِ سوءًا زادا بلبالهُ وغمومهُ فخرج هائماً على وجههِ وبعد ايامٍ سافر الى فرنسا راجياً ان يلهو عن اضطراب قلبه بكثرة الاسفار. وفي ذات يوم بينا كان جالساً في نزلٍ بباريز اذ وردت اليهِ رسالةٌ برقية من النبيل جارهِ يقول فيها «اسرع وتعالَ الينا فقد اتضح الامر وتحققت برآءتك فعجّل مجيئك للاستيلآء على السعادة التي تنتظرك» فتعجب من مضمون هذه الرسالة وسافر للحال راجعاً الى وطنه ولما دخل قصرهُ وجد النبيل في انتظارهِ فنهض مرحباً بهِ وقال لهُ هلمَّ معي في الحال فاني لا استطيع الصبر الى ان تبدّل اثوابك

ثم جرّهُ بيدهِ الى قصرهِ وادخلهُ البهو فتركهُ فيهِ هنيهةً وخرج ثم عاد اليهِ وقال قم فادخل هذه الغرفة فان زوجتي تنتظرك فيها لتكلمك على انفراد . فدهش هنري من هذه المعاملة ودخل الغرفة وهو حائر لا يفهم المراد من كل ذلك فابصر سيدتين كانت احداهما ربة المنزل واما الثانية فلم يقع نظرهُ عليها جلياً حتى كانت بين ذراعيهِ واذا بها حبيبتهُ متيلدا

وكان سبب اجتماعهما انهُ لما اخذ اللرد زوجتهُ بعد ان طرد هنري شرعت تقصّ عليهِ حديث هنري وسبب جثوّهِ امامها الى ان قالت والذي يتبادر الى ذهني ان هنري هذا يحب اختي ونحن توأمان لا تكاد الواحدة منا تُفرَق عن الاخرى وقد توفي ابوانا ونحن طفلتان فتربينا في مدارس اليتامى ولما بلغنا سنّ الصبوة عزمت رئيسة المدرسة ان تدخلنا في سلك الراهبات ولما ضايقتنا هربنا من المدرسة ثم تشتت شملنا فلم اعلم اين ذهبت اختي ولا علمت هي بمقرّي . فتعجب زوجها من هذه القصة واستفهم من اخوات هنري عن المكان الذي رأى فيهِ حبيبتهُ متيلدا ثم انفذ رسلاً يبحثون عنها فعلموا ان رئيسة المدرسة عرفت بمقرّ متيلدا في مونت كرلو فاحتالت في القبض عليها وادخلتها الدير كرهاً . فارسل اللرد للحال واخرجها من الدير واتى بها الى قصرهِ فاجتمعت بشقيقتها وقصت عليهم حكاية حبها لهنري ولما علم اللرد ذلك ارسل يستدعي هنري حتى اذا اجتمع الحبيبان وعلم كلٌّ منهما ان صاحبهُ لا يزال محافظاً على عهدهِ ولم يكن مانعٌ من اقترانهما انتهت قصتهما كما تنتهي قصة كل عاشقين خدمهما السعد فعاشا اهنأ عيشةٍ انستهما ما مرّ بهما من كوارث الايام وما زالا كذلك الى ان فرّق بينهما الحِمام